

فى ظلال الإسلام (٧)

# الإسلام وموقفه من غير المسلمين

تأليف

أ. د. أحمد عمر هاشم



<http://gate.dar-elmarf.com>

## تصميم الغلاف: أيمن القاضي

تنفيذ المتن والغلاف  
بقطاع نظم وتكنولوجيا المعلومات  
دار المعارف

---

الناشر: دار المعارف - ١١١٩ كورنيش النيل - القاهرة - ج.م.ع

هاتف: ٢٥٧٧٧٠٧٧ - فاكس: ٢٥٧٤٤٩٩٩ E-mail: maaref@idsc.net.eg

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

## مُقَدِّمَةٌ

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين  
سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ..  
أما بعد ..

فهذه دراسة عن موقف الإسلام من غير المسلمين، ويتضح  
بها احترام الإسلام لسائر الأديان السماوية، ووجوب الأيمان  
بجميع الرسل والكتب السابقة، كما يتضح بها موقف الإسلام من  
غير المسلمين في الحرب وفي السلم، والماواة بين المسلمين وغير  
المسلمين في سائر المعاملات، وسماحة الإسلام مع غير المسلمين،  
والتي كان الناس بسببها يدخلون في دين الله أفواجا،  
وأن الإسلام هو دعوة كل الرسل. أسأل الله تعالى أن يوفقنا  
إلى ما فيه الخير والرشد والهدى.

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين..

أ.د. أحمد عمر هاشم



## احترام الإسلام لسائر الأديان السماوية

احترم الإسلام جميع الأديان السماوية، وأرسل الله تعالى سيدنا محمداً خاتماً للأنبياء والمرسلين، ومصدقاً لجميع الرسل الذين كانوا قبله، وأنزل الله تعالى على رسوله القرآن الكريم تبياناً لكل شيء، ومصدقاً لما بين يديه من الكتب ومهيمناً عليها وحارساً أميناً لها.

وكان من عناصر الإيمان: الإيمان بجميع الرسل السابقين وبجميع الكتب السماوية، قال تعالى: ﴿عَمَّا أَمَّنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نَفَرِقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ﴿٢٨٥﴾ (سورة البقرة الآية ٢٨٥)، بل إن إيمان المؤمن لا يكون صحيحاً إلا إذا آمن بجميع الأنبياء السابقين، وآمن بما أنزل الله تعالى عليهم من الكتب السماوية الصحيحة، قال تعالى: ﴿قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا مِنْ رَبِّهِمْ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطَ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نَفَرِقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴿١٣٦﴾ (سورة البقرة الآية ١٣٦) وما دام كل مسلم مأموراً أن يؤمن بجميع الرسل السابقين وبجميع الكتب السماوية، فلا يكون لديه تعصب، ولا كراهية لدين آخر أو نبي أو رسول، ولا كراهية ولا حقد على أحد من أتباع الأديان الأخرى.

ووضح القرآن لأتباعه ما قضته الإرادة الإلهية منذ الأزل، من اختلاف الناس في عقائدهم وأجناسهم وألوانهم، وذلك لحكمة يعلمها الحكيم الخبير.

قال سبحانه: ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ۗ إِلَّا مَن رَّجِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ﴾ (سورة هود، الآيتان: ١١٨، ١١٩)

وقال جل شأنه:

﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَأَمَنَّ مِنَ فِي الْأَرْضِ كُلَّهُمْ جَمِيعًا أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾ (سورة يونس الآية ٩٩)

ولا يحجر الإسلام على أحد، ولا يكره أحدا على الدخول في عقيدته،

قال الله تعالى:

﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ﴾ (سورة البقرة الآية ٢٥٦)



## موقف الإسلام من غير المسلمين فك الحروب

من المعلوم أن الإسلام هو دين السلام، لا يأمر بالحرب إلا في الضرورة القصوى التي تستدعى الدفاع والجهاد في سبيل الله، ومع مشروعية الجهاد في سبيل الله دفاعاً عن الدين والعقيدة والأرض والعرض، فإن الحرب في الإسلام لها حدود وضوابط وللمسلمين أخلاقهم التي يتخلقون بها حتى في حربهم مع من يحاربهم من غير المسلمين، فأمر الإسلام بالحفاظ على أموال الغير، وبترك الرهبان في صوامعهم دون التعرض لهم، ونهى الإسلام عن الخيانة والغدر والغلول، كما نهى عن التمثيل بالقتلى، وعن قتل الأطفال والنساء والشيوخ، وعن حرق النخيل والزروع، وقطع الأشجار المثمرة، وأوصى أبو بكر الصديق رضى الله عنه أسامة بن زيد عندما وجهه إلى الشام بالوفاء بالعهد وعدم الغدر أو التمثيل، وعاهد خالد بن الوليد أهل الحيرة ألا يهدم لهم بيعة ولا كنيسة ولا قصرًا، ولا يمنعهم من أن يدقوا نواقيسهم أو أن يخرجوا صلبانهم في أيام أعيادهم. وكان عمر بن الخطاب رضى الله عنه رحيمًا بغير المسلمين من أهل الكتاب، وكان ينصح سعد بن أبي وقاص عندما أرسله في حرب الفرس بأن تكون حربيه بعيدا عن أهل الذمة، وأوصاه ألا يأخذ منهم شيئاً لأن

لهم ذمة وعهدا، كما أعطى عمر رضى الله عنه أهل إيلياء أمانا على أموالهم وكنائسهم وصلبانهم وحذر من هدم كنائسهم، وأمر الإسلام بحسن معاملة الأسرى وإطعامهم قال تعالى: ﴿وَيُطْعَمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حَيْثُ وَبِسْكِتًا وَبِتِمَامٍ وَأَسِيرًا﴾ (سورة الإنسان الآية ٨)، بينما يعامل غير المسلمين أسرى المسلمين معاملة سيئة، فقد يقتلونهم وقد يسترقونهم أو يكلفونهم أشق الأعباء والأعمال، فإن أسرى غزوة بدر الكبرى عاملهم النبي ﷺ خير معاملة، فوزعهم على الصحابة وأمرهم أن يحسنوا إليهم، فكانوا يؤثرونهم على أنفسهم في الطعام وفي الغذاء، ولما استشار أصحابه في شأن أسرى بدر، وأشار البعض بقتلهم، وأشار الآخرون بالفداء، وافق على الفداء، وجعل فداء الذين يكتبون منهم أن يعلم كل واحد منهم عشرة من أبناء المسلمين القراءة والكتابة، وكان هذا أول إجراء ملحوظ للامية.

ولم يقبل الرسول ﷺ أن يمثل بأحد من أعدائه في الحروب مهما كان أمره، ولما أشير عليه أن يمثل بسهيل بن عمرو لأنه كان يحرص على حرب المسلمين وعلى قتالهم فأشير عليه أن ينزع ثنيتيه السفليين حتى لا يستطيع الخطابة بعد ذلك لم يوافق النبي ﷺ على ذلك بل رفض قائلا: لا أمثل به فيمثل الله بي، وإن كنت نبيا.

وعندما حقق الله تعالى لرسوله ﷺ أمنيته بفتح مكة المكرمة ودخلها فاتحا منتصرا ظافرا قال ﷺ لقريش: «ما تظنون أنى فاعل بكم؟ قالوا خيرا أخ كريم وابن أخ كريم، فقال: اذهبوا فأنتم الطلقاء، لا تثرىب عليكم اليوم يغفر الله لى ولكم».

ومن توجيهات الإسلام للمسلمين في الحرب:

١- أن يكون القتال في سبيل الله.

٢ - أن يكون القتال لمن يقاتلون المسلمين.

٣ - عدم الاعتداء، قال الله تعالى: ﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعَدُّوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾ (سورة البقرة الآية ١٩٠).

فالذين يعتدون على المسلمين ويقاتلونهم أمر المسلمين أن يقاتلوهم، ولكنه قتال عادل بمعنى ألا يمشوا بأحد وبلا تعذيب، حيث قال الله تعالى: ﴿فَمَنْ أَعَدَّى عَلَيْكُمْ فَأَعِدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا أَعَدَّى عَلَيْكُمْ﴾ (سورة البقرة الآية ١٩٤). وهذا فيمن يقاتلون المسلمين، أما الذين لا يقاتلون من غير المسلمين فكان النبي ﷺ ينهى عن قتالهم: فعن أنس رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «انطلقوا باسم الله وبالله وعلى ملة رسول الله لا تقتلوا شيئا فانيا ولا طفلا صغيرا ولا امرأة..» رواه أبو داود. وفي حديث آخر: «سيروا باسم الله وفي سبيل الله، قاتلوا من كفر بالله، ولا تمثلوا، ولا تغدروا، ولا تغلوا، ولا تقتلوا وليدا» رواه ابن ماجه.

كما كان ينهى عليه الصلاة والسلام عن التعرض للرهبان وأصحاب الصوامع، وعن التمثيل والغلول، عن ابن عباس رضى الله عنهما قال: كان رسول الله ﷺ إذا بعث جيوشه قال ﷺ: «اخرجوا باسم الله، قاتلوا في سبيل الله من كفر بالله، لا تعتدوا، ولا تغلوا، ولا تمثلوا، ولا تقتلوا الولدان ولا أصحاب الصوامع» رواه أحمد في المسند.



## موقف الإسلام من غير المسلمين فك حال السلم

يقف الإسلام من غير المسلمين في حال السلم موقف الأمان، بل إنه لم ينه عن البر بهم ماداموا لم يقاتلوا المسلمين، وإنما ينهى عن البر بالذين قاتلوا المسلمين في دينهم وأخرجوهم من ديارهم وظاهروا على إخراجهم، فقال جل شأنه: ﴿لَا يَتَّهَكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ۝٨﴾ إِنَّمَا يَنْهَى اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَىٰ إِخْرَاجِكُمْ أَنْ تَوَلَّوهُمْ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٩﴾ (سورة الممتحنة الآيتان: ٨، ٩).

ونهى القرآن الكريم عن مجادلة أهل الكتاب إلا بالتى هى أحسن، فقال الله سبحانه: ﴿وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَهُنَا وَإِلَهُكُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴿٦٦﴾﴾ (سورة العنكبوت الآية ٤٦).

وقال سبحانه: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٦٦﴾﴾ (سورة آل عمران الآية ٦٤).

بل أمر الإسلام بالوفاء بالعهد حتى مع المشركين، قال تعالى: ﴿إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ثُمَّ لَمْ يَنْقُصُوكُمْ شَيْئًا وَلَمْ يُظَاهِرُوا عَلَيْكُمْ أَحَدًا فَأَتِمُوا إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ إِلَىٰ مُدَّتِهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ﴾ (سورة التوبة الآية ٤).

بل لو طلب المشرك من المسلم أن يجيره فعليه أن يجيره، بل ويبلغه مأمته، كما قال الحق تبارك وتعالى: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلِمَةَ اللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (سورة التوبة الآية ٦).

ومن رعاية الإسلام لحقوق غير المسلمين رعايته لمعابدهم وكنائسهم، ومن محافظته عليها ما جاء عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه عندما حان وقت الصلاة وهو في كنيسة القيامة، فطلب البطريك من عمر أن يصلى بها، وهم أن يفعل ثم اعتذر ووضح أنه يخشى أن يصلى بالكنيسة فيأتى المسلمون بعد ذلك ويأخذونها من النصارى على زعم أنها مسجد لهم، ويقولون: هنا صلى عمر.

ولم تتوقف معاملة المسلمين لغير المسلمين عند حد المحافظة على أموالهم وحقوقهم، بل حرص الإسلام عبر عصوره على القيام بما يحتاجه أهل الكتاب وما يحتاج إليه الفقراء منهم.

إن مثل هذه المعاملة من المسلمين لغير المسلمين تطلع العالم أجمع على أن الإسلام ربياً أتباعه على التسامح، وعلى رعاية حقوق الناس، وعلى الرحمة بجميع البشر مهما اختلفت عقائدهم وأجناسهم.

وقد حفظت أجيال المسلمين قيمة هذه الرعاية الإسلامية لحقوق غير المسلمين، لأنهم ما طبقوها إلا استجابة لتعاليم القرآن الكريم، وتوجيهات الرسول العظيم ﷺ وقد طبقها في حياته، فوعاها المسلمون

جيلا فجيلا، وطبقها الخلف عن السلف، والأبناء عن الآباء، فهذا هو ذا عبدالله بن عمر رضى الله عنهما: حدث مجاهد قال: «كنت عند عبدالله بن عمر، وغلّام له يسلخ شاة، فقال: يا غلام إذا سلخت فابدأ بجاننا اليهودي، وقال ذلك مرارا، فقال له: كم تقول هذا؟ فقال إن رسول الله ﷺ لم يزل يوصينا بالجار حتى خشينا أنه سيورثه».



## المساواة بين المسلمين وغير المسلمين فك القضاء وسائر المعاملات

أقام الإسلام المساواة بين المسلمين وغير المسلمين في القضاء وفي سائر المعاملات، وقد سجل التاريخ نماذج رائدة لهذه المعاملات التي تعتبر قمة ما وصلت إليه المعاملات الإنسانية العادلة في تاريخ البشرية جمعاء. فعندما شكوا رجل من اليهود على بن أبي طالب للخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال عمر لعلي: قم يا أبا الحسن فاجلس بجوار خصمك، فقام على وجلس بجواره ولكن بدت على وجهه علامة التأثر، فبعد أن انتهى الفصل في القضية قال لعلي: أكرهت يا علي أن نسوي بينك وبين خصمك في مجلس القضاء؟ قال: لا، ولكني تأملت لأنك ناديتني بكنتي فلم تسو بيننا، ففي الكنية تعظيم، فخشيت أن يظن اليهود أن العدل ضاع بين المسلمين.

وتتابعت وصايا رسول الله ﷺ بأهل الذمة والمعاهدين حيث قال: «من قتل نفساً معاهداً لم يرح رائحة الجنة وإن ريحها يوجد من مسيرة أربعين عاماً» فتح الباري بشرح صحيح البخاري، ومعنى «لم يرح رائحة الجنة»: لم يشمها. وقال ﷺ: «ألا من ظلم معاهداً أو انتقصه أو كلفه فوق طاقتة أو أخذ منه شيئاً بغير طيب نفس فأنا حجيجه يوم القيامة» رواه أبو داود والبيهقي.

ومما يدل على المساواة بين المسلمين وغيرهم في القضاء، وعلى انتشار الإسلام بسماحته وحسن معاملة المسلمين لغير المسلمين هذه الواقعة التي حدثت بين الإمام علي بن أبي طالب وبين رجل من أهل الكتاب، وذلك عندما فقد الإمام علي رضي الله عنه درعه، ثم وجدها عند هذا الرجل الكتابي، ف جاء به إلى القاضي شريح قائلاً: إنها درعى ولم أبع ولم أهب، فسأل القاضي شريح الرجل الكتابي قائلاً: (ما تقول فيما يقول أمير المؤمنين؟).

فقال الرجل: ما الدرع إلا درعى، وما أمير المؤمنين عندى بكاذب، فالتفت القاضي شريح إلى الإمام علي رضي الله عنه يسأله: يا أمير المؤمنين هل من بينة؟ فضحك على وقال: أصاب شريح ما لى بينة، ففضى بالدرع للرجل، وأخذها ومشى، وأمير المؤمنين ينظر إليه، إلا أن الرجل لم يخط خطوات حتى عاد يقول: أما أنا فأشهد أن هذه أحكام أنبياء .. أمير المؤمنين يديننى إلى قاضيه فيقضى عليه؟ أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدا عبده ورسوله، الدرع والله درعك يا أمير المؤمنين؛ انبعث الجيش وأنت منطلق إلى صفين، فخرجت من بعيرك الأورق، فقال الإمام علي رضي الله عنه: «أما إذ أسلمت فهى لك».

وهكذا نرى كيف وصلت سماحة الإسلام إلى هذا المدى الذى يقف فيه أمير المؤمنين نفسه أمام القاضي، مع رجل من أهل الكتاب، ومع أن أمير المؤمنين على حق، فإن القاضي طالبه بالبينة، وهذا أمر جعل أمير المؤمنين يضحك؛ لأنه على حق، وليس معه بينة، وواضح أنه المدعى، والبينة على المدعى، واليمين على من أنكر، ثم تكون النهاية: أن يحكم القاضي للرجل بالظاهر، حيث لم تظهر البينة .. إن هذه المعاملة السمحة، التى لا يفرق فيها بين أمير وواحد من الرعية من أهل الكتاب

جعلت الرجل يفكر في هذا الدين ويتملكه الإعجاب بهذا الدين الذي يقف فيه أمير المؤمنين أمام قاضيه، ويحكم قاضيه عليه لا له، بظاهر ما أمامه وإن كان ذلك خلاف الواقع، فأنطق الله الرجل أن يقول: أما أنا فأشهد أن هذه أحكام أنبياء، وقال: أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدا عبده ورسوله، ويعترف ويقر بالحقيقة قائلا: الدرع والله درعك يا أمير المؤمنين، انبعث الجيش، وأنت منطلق إلى صفيين فخرجت من بعيرك الأورق، ولكنه قد اعترف وأحب الإسلام ودخل فيه .. مما جعل أمير المؤمنين يتنازل عن الدرع للرجل قائلا: (أما إذ أسلمت فهي لك).

إنها صورة من صور القضاء في قمة عدالته، حيث يسوى بين هذا الرجل وبين أمير المؤمنين، وصورة سماحة الإسلام في ذروتها حيث كان الحكم بالظاهر وعلى أمير المؤمنين لا له، إن مثل هذه المعاملة السمحة مع غير المسلمين، هي التي قربت الإسلام إلى الناس، وجعلتهم يدخلون في دين الله أفواجا.

أما صور التعصب الممقوت التي يساء فيها إلى الإسلام فإنها لا تدفع الناس إلى الدخول فيه، بل تدفعهم إلى النفور منه. ومن أجل هذا كان القرآن الكريم يجلي هذه الحقيقة: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾ (سورة البقرة الآية ٢٥٦) وأيضا لا حرج فيه ولا مشقة: ﴿وَمَا جَعَلْ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾ (سورة الحج الآية ٧٨).

إنه دعوة إلى اليسر والتسامح لا إلى العسر والغلظة: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمْ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمْ الْعُسْرَ﴾ (سورة البقرة الآية ١٨٥).



## سماحة الإسلام مع غير المسلمين

كما راعى الإسلام السماحة والمساواة بين المسلمين وغيرهم في القضاء، فإنه راعى السماحة في معاملة المسلمين لغيرهم: ﴿لَا يَنْهَكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِينِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ (سورة الممتحنة الآية ٨)، بل قرر الإسلام حماية أهل الذمة والمستأمنين ماداموا في دار الإسلام، وهذا الحق الذي قرره الإسلام لحمايتهم، يجب أن يعمل به أهل الأديان الأخرى في معاملة الأقليات الإسلامية حماية لهم وتمكيناً لعبادتهم حتى يتم التعاون بين عنصرى الأمة، ولننظر كيف أكد الإسلام على حقوق أهل الكتاب والمعاهدين، قال رسول الله ﷺ: "ألا من ظلم معاهداً أو انتقصه أو كلفه فوق طاقته، أو أخذ شيئاً بغير طيب نفس فأنا حجيجه يوم القيامة" رواه أبو داود والبيهقي.

ومن وصايا سيدنا عمر بن الخطاب رضى الله عنه «أوصيكم بذمة الله، فإنه ذمة نبيكم ورزق عيالكم» وإرساء لأسس التعاون والتواصل بين عنصرى الأمة أحل الله طعامهم فقال: ﴿وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَلْلٌ لَكُمْ وَطَعَامُكُمْ حَلْلٌ لَهُمْ﴾ (سورة المائدة الآية ٥) وشرع الزواج بالمرأة الكتابية، ولا رابطة في الظواهر الاجتماعية أقوى من ذلك، قال تعالى:

﴿وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ﴾  
(سورة المائدة الآية ٥).

وإذا كان التسامح وحسن المعاملة وعدم التعصب أمورا مطلوبة من المسلمين في معاملتهم مع غير المسلمين، فإنها كذلك مطلوبة من غير المسلمين مع المسلمين، حتى تتم معاملة كل طرف للآخر في دائرة التعاون والتضامن، فلا يسيء أحدهم إلى الآخر، بل يتعاملون بروح الفريق الواحد في الوطن الواحد.

وإن سر انتشار الإسلام، واعتناق الناس له، ودخولهم في دين الله أفواجا، هو مناجاه الرباني، الذي أنزله رب العزة سبحانه وتعالى على رسوله صلوات الله وسلامه عليه، هذا المنهاج الذي أمر الله تعالى فيه بالدعوة بالحكمة، والموعظة الحسنة، والمجادلة بالتي هي أحسن. إنه منهج دعوة، وليس إكراها ولا تشددا ولا عنفا، قال الله تعالى: ﴿أَدْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَحَدِّ لَّهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ (سورة النحل الآية ١٢٥)، وما أقر الإسلام العنف ولا التشدد: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ﴾ (سورة البقرة الآية ٢٥٦).

وقال سبحانه لموسى وهارون حين بعثهما إلى فرعون الذي ادعى الألوهية: ﴿فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لِّنَا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى﴾ (سورة طه الآية ٤٤)، وعندما خافا أن يبطش بهما بين الله تعالى أنه معهما يسمع ويرى ويؤيدهما في دعوتهما، قاله سبحانه يؤيد كل داع يستجيب لمنهاجه، ويدعو بالقول اللين الذي لا ينفر، فقال تعالى ردا عليهما: ﴿قَالَ لَا تَخَافَا إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَى﴾ (سورة طه الآية ٤٦).

وقاوم الإسلام العصبية، ودعا إلى التسامح، ففي الحديث: «ليس منا من دعا إلى عصبية». ولم يقتصر تسامح الإسلام مع أهل الكتاب فحسب،

بل إنه شمل حتى المشركين فدعا الإسلام إلى منحهم الجوار والأمان حين يطلبه أحد المشركين، قال الله تعالى: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلِمَ اللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ﴾ (سورة التوبة الآية ٦). بل إن الإسلام يعتبر ضرب الإنسان الفاجر أو المعاهد دون ذنب أو بسبب جريمة يتبرأ الرسول ﷺ من صاحبها فيقول: «ومن خرج على أمتى يضرب برها وفاجرها لا يتحاشى من مؤمنها ولا يفى لعهد ذى عهدها، فلست منه وليس مني» صحيح مسلم باب الإمارة، وذلك حتى لا يأخذ الناس بعضهم بعضا بالظن، وحتى لا تكون الحياة فوضى، فالإسلام لا يقر الظلم ولا العدوان، حتى على الفاجر أو من كان معاهدا، فالفاجر فجوره على نفسه وحسابه على الله، ولسنا مطالبين حياله إلا بالأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، وبمراتب مقاومة المنكر التى أخبر بها الرسول ﷺ قال: «من رأى منكم منكرا فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان» أخرجه أحمد في مسنده والنسائي والترمذى.

وليس لأحد كائنا من كان أن يعطى نفسه الشرعية والحق في ضرب الناس، أو إكراههم باسم الإسلام، فإنه بهذا التصرف يسىء إلى الإسلام وإلى سماحته.

### عدالة الإسلام

وقد عنى الإسلام برعاية أهل الكتاب، فقرر سيدنا عمر بن الخطاب رضى الله عنه لهم كفالة في بيت مال المسلمين، فقد روى أنه مر بباب جماعة، فوجد سائلا يسأل وهو شيخ كبير ضير فسأله قائلا: من أى أهل الكتاب أنت؟ فقال: يهودى، فسأله: ما ألبأك إلى

ما أرى؟ قال: أسأل الجزية، والحاجة، والسن، فأخذ عمر بيده إلى منزله، وأعطاه، ثم أرسل إلى خازن بيت المال فقال له: انظر هذا وأضربه، فوالله ما أنصفناه أن أكلنا شيبته ثم نخذله عند الهرم!!

وما حدث في تاريخ سلفنا إهانة أحد من أهل الذمة، بل إن حدث أي تجاوز كان يعالجه الإسلام في الحال، فعندما شكنا إلى عمر أحد الأقباط ابن والى مصر: عمرو بن العاص الذى لطم ابنه عندما غلبه ابن القبطى فى السباق، وقال: أنا ابن الأكرمين، أسرع عمر رضى الله عنه بإحضار والى مصر وابنه إلى مكة فى موسم الحج، وأعطى عمر الدرّة لابن القبطى وأمره أن يقتص من ابن الأكرمين، ثم قال لعمرو كلمته المأثورة: «متى تعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحراراً؟!».

وقد أقام الإسلام العدل بين عنصرى الأمة من المسلمين وغير المسلمين، ومن رسالة سيدنا عمر بن الخطاب رضى الله عنه إلى قاضى القضاة أبى موسى الأشعري قال له: (أس بين الناس فى وجهك ومجلسك وقضائك، حتى لا يطمع شريف فى حيفك، ولا ييأس ضعيف من عدلك) فلا يصح التفرقة بين المتخاصمين حتى ولو كان أحدهما غير مسلم.

وهكذا نرى كيف عامل سلفنا أهل الكتاب، وكيف أظهروا سماحة هذا الدين الذى لا يقر العصبية، ولا يرضى الظلم حتى لغير المسلمين، بل يدعو إلى التسامح والعدل معهم.

وهذا المنهاج المتسامح للإسلام مع أهل الأديان الأخرى هو سر عظمة الإسلام، وسر ذبوعه وانتشاره فى ربوع المعمورة.

## الإسلام دعوة كل الرسل

إن الإسلام هو دعوة كل الرسل، ويتناول إطلاقه جميع الأديان التي أمر الله تعالى رسله أن يبلغوها للناس، لأنه روحها الكلى، على اختلاف في بعض التكاليف والأعمال، وينضوى الإنسان تحت راية الإسلام عندما تصح عقيدته، وتخلص من كل شائبة من شوائب الشرك والتفائق، ويخلص في إيمانه وعمله لله تعالى .. وهذا هو المراد بقوله تعالى: ﴿ وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ ﴾ (سورة آل عمران الآية ٨٥)

فالإسلام بمفهومه القرآني المشرق اسم للدين الإلهي الذي جاء به جميع الأنبياء والرسل، وانتسب إليه أتباعهم جميعاً، يقول نوح لقومه: ﴿ وَأَمَرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴾ (سورة يونس الآية ٧٢).

ويوصى يعقوب بنبيه قائلاً، قال تعالى: ﴿ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴾ (سورة البقرة الآية ١٣٢).

ويجيب أبناء يعقوب أباهم قائلين: ﴿ نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَإِلَهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَهًا وَاحِدًا وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴾ (سورة البقرة الآية ١٣٣)

ويقول موسى عليه السلام لقومه: ﴿ إِنْ كُنْتُمْ آمَنْتُمْ بِاللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُسْلِمِينَ ﴾ (سورة يونس الآية ٨٤).

ويقول الحواريون لعيسى: ﴿ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَأَشْهَدُ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ (سورة آل عمران الآية ٥٢).

ويقول بعض أهل الكتاب حين سمع القرآن: ﴿قَالُوا ءَامَنَّا بِهِ إِنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّنَا إِنَّكُنَّا مِنْ قَبْلِهِ مُسْلِمِينَ﴾ (سورة القصص الآية ٥٣).

وقد وجه القرآن الكريم الأمة الإسلامية إلى بيان هذه الحقيقة في قوله تعالى: ﴿شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ﴾ (سورة الشورى الآية ١٣).

كما خاطب الله تعالى الرسل جميعاً مبيناً أن الإسلام والتوحيد قد أمر به كافة الرسل عليهم الصلاة والسلام وكافة الأمم، فالملة واحدة، متحدة في أصول الشرائع لا تتبدل بتبدل العصور، قال تعالى: ﴿وَإِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ﴾ (سورة المؤمنون الآية ٥٢).

وتتلخص دعوة الملة القيمة في التوحيد الخالص لله الواحد الأحد: البعيد عن العقائد الزائفة، مع اتباع جميع الأحكام المنوطة باتباع الإسلام، كما قال تعالى: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقِيَمَةِ﴾ (سورة البينة الآية ٥).

وقال تعالى:

﴿قُولُوا ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾ (سورة البقرة الآية ١٣٦)

فعللاقة الإسلام إذا بالأديان الأخرى علاقة الشيء بنفسه، مادام جوهره هو جوهر كل الرسالات، ودعوة رسوله هي دعوة كل الرسل، وأما ما اختصت

به العقيدة الإسلامية الخاتمة من شرائع وأحكام فهذا مدلول معين على شريعة معينة، وعلاقة الإسلام كشرية للرسول صلوات الله وسلامه عليه بالأديان الأخرى تقوم على أساس تصديق القرآن لما بين يديه من الكتب والهيمنة عليها.

### وهذه العلاقة تأخذ اتجاهين واضحين :

**الاتجاه الأول:** علاقة الإسلام بالشرائع السماوية قبل تطورها وتغييرها.

**والاتجاه الثاني:** علاقته بها بعد تطورها وتغييرها.

أما الاتجاه الأول فالقرآن جاء مصدقا لما قبله من الكتب، وقد أخذ رب العزة سبحانه على كل نبي إذا جاء رسول مصدق لما معه أن يؤمن به وينصره .. وتصديق الكتب المتأخرة للمتقدمة لا يعنى أنها لا تغير منها شيئا، فهي مع أنها مصدقة لها إلا أنها تغير منها، كما حدث أن جاء الإنجيل بتعديل أحكام التوراة، فأعلن عيسى عليه السلام أنه جاء ليحل لبني إسرائيل بعض الذى حرم عليهم، وأيضا فقد جاء القرآن بتعديل بعض أحكام الإنجيل والتوراة، إذ أعلن أن الرسول صلوات الله وسلامه عليه جاء ليحل للناس كل الطيبات، ويحرم عليهم كل الخبائث، ويضع عنهم إصرهم والأغلال التى كانت عليهم، وليس فى هذا تناقض من اللاحق للسابق ولا إنكار منه له، وإما هو توافق وتناسب للزمن الذى تعيشه كل أمة، ليتواءم مع ظروفها وطبيعتها وأطوارها المختلفة، فإن الذى يتناسب مع أمة من الأمم فى طورها الأول قد لا يتناسب معها فى الطور الثانى، والذى يتناسب معها فى الطورين الأولين قد لا يتناسب معها فى الطور الثالث، وهكذا.. نعم، هناك من الأمور ما تأذن الشريعة

اللاحقة بإبقائه واستمراره في نطاق ظروفه السابقة: كالوصايا العشر مثلا ما عدا الوصية العاشرة التي تحرم العمل يوم «السبت» فمثل ذلك من التشريعات الخالدة التي لم تتغير بعد .. أما ما هنالك من تشريعات مؤقتة بأجال طويلة أو قصيرة فهي تنتهي بانتهاء وقتها، وتأتي الشريعة اللاحقة بما يوافق الأوضاع مصداقا لقوله تعالى: ﴿مَا نُنسَخُ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَا أَوْ مِثْلَهَا﴾ (سورة البقرة الآية ١٠٦).

إذا ففى كل شريعة من الشرائع عنصران ضروريان للدعوة:

**عنصر مستمر:** يربط حاضرهما بماضيها.

وأخر غير مستمر: ويقوم بالتجديد بما يتناسب مع تطورها في كل زمان ومكان، فمثلا نرى شريعة التوراة تنص ضمن قوانين السلوك الأخلاقي على «النهي عن القتل والسرقة .. الخ» ومن أهم ما تبرزه: طلب العدل والمساواة. ونرى شريعة الإنجيل تقرر هذه المبادئ وتزيد عليها: «لا تراء الناس بفعل الخير» و«أحسن إلى من أساء إليك» وأوضح ما فيها التسامح والإحسان .. فتأتي شريعة القرآن فتقرر المبادئ معا: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ﴾ (سورة النحل الآية ٩٠).

﴿وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ﴾ (سورة الشورى الآية ٤٠).

وقال تعالى: ﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ وَلَئِنْ صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ﴾ (سورة النحل الآية ١٢٦).

وقد أضافت الشريعة الإسلامية كل مكارم الأخلاق، فلم تدع جانبا من جوانب السلوك في التحية، والاستئذان، والمجالسة والمخاطبة، وما إلى

ذلك من الآداب السامية، والأخلاق الرفيعة كما هو موضح في سورة النور، والحجرات، والمجادلة.

إذا فالشرائع كلها بمثابة اللبنة في بناء الدين، ومهمة اللبنة الأخيرة: إكمال البناء وإمساكه، وبلوغه الكمال الخلقى كما قال ﷺ: «إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق» وقد وصف الله تعالى رسوله ﷺ بأكمل وصف، وأعظم خلق إذ يقول سبحانه وتعالى للرسول: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ (سورة القلم الآية ٤).

ويقول القرآن الكريم في بيان إكمال الدين، وإتمام النعمة الإلهية على العباد على يدي خاتم المرسلين: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ (سورة المائدة الآية ٣).

ويوضح الرسول ﷺ موقفه من الأنبياء السابقين عليه كرسول خاتم فيقول: «إن مثلى ومثل الأنبياء من قبلى كمثل رجل بنى بيتاً فأحسنه وأجمله إلا موضع لبنة من زاوية فجعل الناس يطوفون به ويعجبون له، ويقولون: هلا وضعت هذه اللبنة، قال: فأنا اللبنة وأنا خاتم النبيين» صحيح متفق عليه.

وأما عن علاقة الإسلام بالأديان السماوية الأخرى بعد تطويرها وتغييرها: فقد عرفنا أن القرآن الكريم جاء «مصدقاً» لما بين يديه من الكتب و «مهيمناً» على تلك الكتب، والهيمنة تعنى الحراسة الأمانة عليها، والحماية الواعية لها من الدخيل الذى يدس فيها، ويطرأ عليها، وإبراز ما تدعو إليه الحاجة من حقائق قد أخفيت منها، وتأييد ما خلدته التاريخ من حق وخير.

وهكذا كانت مهمة القرآن الكريم .. فنفى وجود الأمور الزائدة وتحدى ادعاء وجودها في الكتب: ﴿قُلْ فَأْتُوا بِالتَّوْرَةِ فَآتُوهَا إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ (سورة آل عمران الآية ٩٣).

وإبراز ما أخفوه:

﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِّمَّا كُنتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ﴾ (سورة المائدة الآية ١٥).

فعلاقة الإسلام إذا بالأديان الأخرى في طورها الأول علاقة تأييد كلي، وأما في طورها الأخير المتطور فهو تصديق لما بقى من أجزائها الأصلية، وتصحيح لما طرأ من البدع والإضافات الغريبة عنها.

وقد أمر الإسلام أتباعه بالتعامل الحسن، حتى مع أبعد الأديان عنه،

قال تعالى:

﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلِمَ اللَّهِ ثُمَّ اتَّبِعْهُ مَأْمُتًا﴾ (سورة التوبة الآية ٦).

إن سماحة الإسلام لتتفح جوانبها، وتمتد ظلال الأمن فيها وارفة فتجير المشرك وتؤويه وتكفل له الأمن، وتقدم له الرشد الناجع، والتوجيه السديد بالحكمة والموعظة الحسنة، والمجادلة بالتي هي أحسن كما قال تعالى:

﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَدِلْ لَهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ (سورة النحل الآية ١٢٥).

بل وتكفل له الحماية والرعاية والأمان من كل غائلة .. كما ندب الإسلام أتباعه أن يكون موقفهم من غير المسلمين موقف بر ورحمة وقسط وعدل:

﴿لَا يَنْهَكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقِنُوا كُفْرَهُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوا مِنْ دِينِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ  
وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ (سورة الممتحنة الآية ٨).

وما أروع قول الرسول صلوات الله وسلامه عليه يوم الحديبية:  
«والله لا تدعوني قريش إلى خطة توصل بها الأرحام، وتعظم فيها  
الحرمان إلا أعطيتهم إياها».



## نماذج لأثر سماحة الإسلام

وأقدم هنا بعض النماذج من سماحة الإسلام، وما كان لها من أثر كريم في نفوس الذين عرفوها ولمسوها، حتى دخل بسببها في الإسلام أناس كثيرون.

### ١ - إسلام ثمامة بن أثال:

قال الإمام البخاري رحمه الله: حدثنا عبد الله بن يوسف، حدثنا الليث قال: حدثني سعيد بن أبي سعيد: أنه سمع أبا هريرة رضي الله عنه قال: بعث النبي ﷺ خيلاً قبل نجد، فجاءت برجل من بني حنيفة يقال له: ثمامة بن أثال، فربطوه بسارية من سواري المسجد، فخرج إليه النبي ﷺ فقال: «ما عندك يا ثمامة؟» فقال: عندي خير يا محمد إن تقتلني تقتل ذا دم، وإن تنعم تنعم على شاكرك، وإن كنت تريد المال فسل منه ما شئت، فترك حتى كان الغد ثم، قال له: «ما عندك يا ثمامة؟» قال: ما قلت لك: إن تنعم تنعم على شاكرك، فتركه حتى كان بعد الغد فقال: «ما عندك يا ثمامة؟» فقال: عندي ما قلت لك، فقال: «أطلقوا ثمامة» فانطلق إلى نخل قريب من المسجد فاغتسل ثم دخل المسجد فقال: أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله. يا محمد والله ما كان على الأرض وجه أبغض إلى من وجهك، فقد أصبح وجهك أحب الوجوه

إلى، والله ما كان من دين أبغض إلى من دينك، فأصبح دينك أحب الدين إلى، والله ما كان من بلد أبغض إلى من بلدك، فأصبح بلدك أحب البلاد إلى، وإن خيلك أخذتني وأنا أريد العمرة فماذا ترى؟ فبشره النبي وأمره أن يعتمر، فلما قدم مكة قال له قائل: صبوت؟ قال: لا والله ولكن أسلمت مع محمد رسول الله ولا والله لا يأتكم من اليمامة حبة حنطة حتى يأذن فيها النبي. أخرجه البخاري ومسلم.



هذه القصة من أوضح الشواهد والدلائل على انتشار الإسلام بالحكمة والموعظة الحسنة، وبروح التسامح والرحمة .. إنه انتشر بمبادئه الإنسانية العالية لا كما يقول المتشكقون وأعداء الإسلام إنه انتشر بالسيف؛ كيف والقرآن الكريم يقول: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدَّبَبَنَّ أَرْشُدًا مِنَ الْغَيِّ﴾ (سورة البقرة الآية ٢٥٦).

ويقول سبحانه: ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ﴾ (سورة الكافرون الآية ٦).

ويقول سبحانه: ﴿لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُصَيِّرٍ﴾ (سورة الغاشية الآية ٢٢).

وهاهو سيد بنى حنيفة «ثمامة بن أثال» قد أسره المسلمون في إحدى السرايا دون أن يعرفوه، ولما جرى به إلى رسول الله فعرفه أكرمه وأبقاه عنده ثلاثة أيام، وكان في كل يوم يعرض عليه الإسلام ويسأله قائلا: ماذا عندك؟ فيجيب الرجل قائلا: إن تقتلني تقتل ذا دم، وإن تنعم تنعم على شاكرك، وإن كنت تريد المال فسل منه ما شئت.

ومعنى «تقتل ذا دم» أى صاحب دم، لدمه موقع يشتفى قاتله بقتله، ويدرك ثأره لرياسته وعظمته.

وفي رواية ابن إسحاق أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «قد عفوت عنك يا ثمامة وأعتقتك»

وقد كان لهذه السماحة أثرها في قلب ثمامة جعلته يبادر بالدخول في الإسلام، وقد سر الرسول بإسلامه كثيرا لما ترتب على إسلامه من دخول قومه في الإسلام، ولم يقف الحال عند هذا، بل كان لإسلامه أثر هام، فعندما ذهب إلى مكة للعمرة وهم أهلها أن يقتلوه، وفي رواية ابن هشام قال: بلغني أنه خرج معتمرا، حتى إذا كان ببطن مكة لبي، فكان أول من دخل مكة يلبي فأخذته قريش فقال: لقد اجترأت علينا، وأرادوا قتله، فقال قائل منهم: دعوه فإنكم تحتاجون إلى الطعام من اليمامة، فتركوه.

وزاد ابن هشام: ثم خرج إلى اليمامة، فمنعهم أن يحملوا إلى مكة شيئا، فكتبوا إلى النبي صلى الله عليه وسلم: «إنك تأمر بصلة الرحم، فكتب إلى ثمامة أن يخلى بينهم وبين الحمل إليهم».

وهكذا كتب الرسول ﷺ إلى ثمامة أن يخلى بينهم وبين حبوب اليمامة، ففعل ثمامة ما أمره به الرسول صلى الله عليه وسلم ولو أراد الرسول ﷺ أن يقهر القوم، وأن يلجئهم إلى الإسلام مستعملا القسوة، وانتهاز حاجتهم وضرورتهم لفعل، ولكنه لا يقهر أحدا ولا يستعمل القوة، ولا يكره الناس على الدخول في الإسلام.

وبعد أن انتقل الرسول ﷺ إلى الرفيق الأعلى، وكانت حركة الردة، وارتد بعض أهل اليمامة، ظل ثمامة هذا ثابتا هو وأتباعه، وراح يحذر المرتدين من أتباع مسيلمة الكذاب قائلا لهم: إياكم وأمرا مظلما لا نور فيه، وإنه لشقاء كتبه الله عز وجل على من أخذ به منكم، وبلاء على من

لم يأخذ به منكم، ولما لم يجد النصح معهم خرج هو والذين معه وانضموا للعلاء بن الحضرمي مددا له، فكان هذا مما فت في عضد المرتدين وألحق بهم الهزيمة (الإصابة والاستيعاب، والسيرة التحليلية د. أبوشهبة).

وهذا الموقف من رسول الله ﷺ مع ثمامة نموذج من نماذج التسامح العالية التي كان الرسول يتعامل بها مع الناس، فقد كانت معاملته عبر حياته كلها تتسم بروح التسامح والرأفة، والدعوة إلى الإسلام بالحكمة والموعظة الحسنة لا بالقوة والسيف.

ومما لا شك فيه أن الذي يكره على شيء لا يثبت عليه، وإنما يتخلص منه إذا وجد سبيلا إلى ذلك، بل يكون عدوا له، ولكننا عبر تاريخ الإسلام لم نجد أحدا ارتد سخطة عن دينه بعد أن يدخل فيه، بل وجدنا المسلمين تعرضوا عبر تاريخهم إلى حروب وانقسامات لأقطارهم، وتسلط أعدائهم عليهم، ومع هذا لم نجد أحدا منهم رجع عن دينه بل ثبتوا على الإسلام حتى فتح الله عليهم بركات من السماء والأرض، وجاءهم نصر الله والفتح.

ويستنبط من هذا النموذج بالإضافة إلى ما سبق بعض العبر والدروس، منها:

- أن الإسلام انتشر بتعاليمه ومبادئه ومنهجه الذي يتسم بالحكمة والموعظة الحسنة وبروح التسامح.

- فضل شيمة العفو عن المسيء، وما له من أثر في تغيير العدو إلى صديق، فإن ثمامة أقسم أن بغضه انقلب إلى حب في وقت واحد وفي ساعة واحدة، وذلك نتيجة العفو الذي أسداه إليه الرسول ﷺ وصدق الله تعالى إذ يقول:

﴿ وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ  
وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ﴾ (سورة فصلت الآية ٣٤).  
- مشروعية الاغتسال عند الإسلام.  
- أثر الإحسان في إزالة البغض وتثبيت الحب.

## ٢ - إسلام زيد بن سعة :

أخرج الطبراني، وابن حبان، والحاكم .. وغيرهم من طريق الوليد بن مسلم، عن محمد بن حمزة بن يوسف بن عبد الله بن سلام، عن أبيه، عن جده، عن عبد الله بن سلام قال: قال زيد بن سعة: ما من علامات النبوة شيء إلا وقد عرفتها في وجه محمد صلى الله عليه وسلم حين نظرت إليه إلا خصلتين لم أخبرهما منه: يسبق حلمه جهله، ولا تزيده شدة الجهل عليه إلا حلما. قال زيد بن سعة: خرج رسول الله يوما من الحجرات، ومعه علي بن أبي طالب رضى الله عنه فأتاه رجل على راحلته كالبدوي فقال: يا رسول الله لي نفر في قرية بني فلان، قد أسلموا ودخلوا في الإسلام، وكنت حدثتهم إن أسلموا أتاهم الرزق رغدا، وقد أصابتهم سنة<sup>(١)</sup>، وشدة وقحط من الغيث فأنا أخشى يارسول الله أن يخرجوا من الإسلام طمعا كما دخلوا فيه طمعا، فإن رأيت أن ترسل إليهم بشيء تغيثهم به فعلت، فنظر إلى رجل إلى جانبه أراه عليا فقال: يا رسول الله ما بقى منه شيء، قال زيد بن سعة: فدنوت إليه، فقلت: يا محمد هل لك أن تبعيني تمرا معلوما في حائط بني فلان إلى أجل معلوم إلى أجل كذا وكذا؟

(١) رغدا : واسعا، وسنة أى جذب.

قال: لا تُسَمِّ حائط بنى فلان، قلت نعم، فبايعني، فأطلقت همياني<sup>(١)</sup>، فأعطيته ثمانين مثقالا من ذهب في تمر معلوم إلى أجل كذا وكذا، فأعطاهما الرجل وقال: «اعدل عليهم وأعتهم» قال زيد بن سحنة: فلما كان قبل محل الأجل بيومين أو ثلاثة خرج رسول الله ومعه أبو بكر وعمر وعثمان رضى الله عنهم في نفر من أصحابه، فلما صلى على الجنائزة ودنا إلى الجدار ليجلس إليه أتيته فأخذته بمجامع قميصه وردائه ونظرت إليه بوجه غليظ قلت له:

يا محمد ألا تقضيني حقي؟ فوالله ما علمتم بنى عبدالمطلب إلا مطلا، ولقد كان إلى بمخالطتكم علم، ونظرت إلى عمر وعيناه تدوران في وجهه كالفلك المستدير، ثم رماني ببصره فقال: يا عدو الله: أتقول لرسول الله ما أسمع؟ وتصنع به ما أرى؟ فوالذى نفسى بيده لولا ما أحاذر فوته لضربت بسيفى رأسك. ورسول الله ينظر إلى فى سكون وتؤدة فقال: يا عمر أنا وهو كنا أحوج إلى غير هذا؛ أن تأمرنى بحسن الأداء، وتأمره بحسن اتباعه، اذهب به يا عمر فأعطه حقه، وزده عشرين صاعا من تمر مكان ما رعته<sup>(٢)</sup>، قال زيد: فذهب بى عمر فأعطانى حقى وزادنى عشرين صاعا من تمر، فقلت: ما هذه الزيادة يا عمر؟ قال: أمرنى رسول الله أن أزيدك مكان ما رعتك، قال وتعرفنى يا عمر؟ قال: لا، قلت: أنا زيد بن سحنة، قال: الحبر؟ قلت: الحبر، قال: فما دعاك إلى أن فعلت برسول الله ما فعلت؟ وقلت له ما قلت؟ قلت: يا عمر، لم يكن من علامات النبوة شىء إلا وقد عرفت فى وجه رسول الله حين نظرت إليه إلا اثنتين لم

(١) مايشد على الوسط وبه مكان كالكيس تحفظ فيه الأموال.

(٢) رعته : أفزمته.

أخبرهما منه: يسبق حلمه جهله، ولا تزيده شدة الجهل عليه إلا حلما، وقد خبرتتهما، فأشهدك يا عمر أني قد رضيت بالله ربا، وبالإسلام ديناً، وبمحمد نبياً وأشهدك أن شطر مالى - فإني أكثرها مالا - صدقة على أمة محمد. قال عمر: أو على بعضهم فإنك لا تسعهم؟ قلت: أو على بعضهم، فرجع عمر وزيد إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال زيد: أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وآمن به وصدقه، وبايعه، وشهد معه مشاهد كثيرة ثم توفى في غزوة تبوك مقبلاً غير مدبر رحم الله زيداً.

وقد روى ابن ماجه من هذه القصة طرفاً، وقال الهيثمي: رواه الطبراني ورجاله ثقات، وأخرجه ابن حبان، والحاكم، وأبو الشيخ في كتاب (أخلاق النبي صلى الله عليه وسلم) وغيرهم.

إن هذه القصة تصور لنا بعض سجايا رسول الله وما فطر عليه من الحلم، والصفح، والعفو عن المسيء، استجابة لتوجيه الله تعالى له: ﴿ خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ ﴾ (سورة الأعراف الآية ١٩٩). وقال الله تعالى: ﴿ وَحَزُوا سَيِّئَةً سَيِّئَةً مِّثْلُهَا فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ ﴾ (سورة الشورى الآية ٤٠).

إنه كالبحر العذب لا يعكر ماءه الصافي ما يلقى فيه من أحجار.

## ٢ - موقفه مع أحد الأعراب:

لقد جاء إليه ذات مرة أعرابي فجذبه جبذة شديدة حتى أثرت حاشية<sup>(١)</sup> الثوب في صفحة عاتقه، ثم قال: يا محمد احمل لى على بعيرى

(١) حاشية الثوب: طرفه من عند العنق.

هذين من مال الله الذي عندك، فإنك لا تحمل لي من مالك ولا من مال أبيك، فسكت رسول الله ثم قال: «المال مال الله وأنا عبده» ثم قال: «ويقاد منك يا أعرابي ما فعلت بي» قال: لا، قال: لم؟ قال: لأنك لا تكافئ السيئة بالسيئة.

فضحك النبي وسر من جوابه، وأمر أن يحمل له على بعير شعير وعلى الآخر قمر.

وهذه القصة من أوضح الشواهد على أن الإسلام انتشر بالحسنى، وانتشر بالقدوة، والخلق العظيم الذي تمثل في رسول الله وبالْحكمة والموعظة الحسنة، وبكريم السجايا، وبفضائله ومعاملاته الإنسانية التي لا مثيل لها، إنه لم ينتشر بالسيف كما يدعى المغرضون وإنما انتشر بسماحته ويسره، وبحكمة الرسول ورأفته، وعطفه، ورحمته، وبره بالناس، وصفحه عن المسيء، وحلمه الغزير، وقلبه الكبير، ولين جانبه.

﴿فِيمَا رَحِمَهُ مِنَ اللَّهِ لَئِن لَّهُمْ لَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ﴾ (سورة آل عمران الآية ١٥٩).

فصلوات الله وسلامه عليك يا من بعثك الله رحمة للعالمين.



## الواجب على المسلمين في الظروف الراهنة

لا يخفى على أحد ما تمر به أمتنا الإسلامية والعربية بصفة خاصة، وما يمر به العالم بصفة عامة، من اضطرابات ومن ثورات تستهدف الحق والعدل، وما ينتاب الشارع العربي والإسلامي من مشاعر الغضب والاستياء، الراضية للظلم والعدوان، وحيال هذه المشاعر المهتاجة ندعوا أمتنا العربية والإسلامية ومصر بصفة خاصة إلى ما يأتي:

**أولاً:** تأكيد الإيمان بالله تعالى وتوثيق الصلة به، لأن النصر من عند الله العزيز الحكيم، ولأن الله تعالى يشر الذين ينصرون تعاليمه بأن ينصروهم ﴿وَلْيَنْصُرِكُمُ اللَّهُ مَن يَنْصُرُهُ﴾ (آية ٤٠ سورة الحج) وقال جل شأنه: ﴿إِن تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾ (آية ٧ سورة محمد).

**ثانياً:** وجوب توحيد الصف وجمع الكلمة في هذه الظروف الراهنة وعدم الفرقة أو الاختلاف والاستجابة لأمر الله تعالى: ﴿وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾ (آية ١٠٣ سورة آل عمران) البعد عن التنازع والاختلاف كما قال تعالى: ﴿وَلَا تَسْرِعُوا بِالنَّفْسِ لَكُمْ وَتَذَهَبَ بِمَحْكُمِكُمْ﴾ (آية ٤٦ سورة الأنفال).

**ثالثاً:** تقوية الروح المعنوية، والبعد عن الشائعات المغرضة والمثبطة التي يحاول المغرضون أن يسربوها في مثل هذه الظروف، وقد بين الله

تعالى لنا ذلك في قوله سبحانه ﴿.. وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَىٰ أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنبِطُونَهُ مِنْهُمْ﴾ (آية ٨٣ سورة النساء).

وقد كان موقف الرسول ﷺ والمؤمنين أنهم واجهوا الشائعات المثبِّطة والمغرضة بإيمان لا يتزعزع بالله سبحانه وتعالى فحين سمعوا أنهم جمعوا جموعهم قالوا من قلوبهم: «حسبنا الله ونعم الوكيل» فكانت النتيجة ما أخبر الله تعالى عنه في وقوله سبحانه: ﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾ (١٧٣) ﴿فَأَقْبَلُوا بِنِعْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَفَضِّلْتُمْ بَمَسِّهِمْ سُوءًا وَاتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللَّهِ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ﴾ (١٧١) (آية ١٧٣، ١٧٤ سورة آل عمران).

ولا شك أن في مثل هذه الظروف تتسرب شائعات وأقاويل، وقد يخلطها بعض أصحاب الأهواء بأمور لا أساس لها من الصحة فعلياً أن نحافظ على تماسك الجبهة الداخلية، وتحصين قاعدة المجتمع من تلك الشائعات، متحلين بروح الولاء والانتماء.

**رابعاً:** تماسك الجبهة الداخلية وعدم التعرض لأي سبب من أسباب اهتزازها، والعمل على الحفاظ على مؤسسات الدولة وعلى الأمن الداخلى والخارجى والعمل على كل ما فيه الأمن والاستقرار والحفاظ على الوطن.

**خامساً:** العمل على تجاوب كل قطاعات المجتمع في هذه الظروف واستمرار العمل ومضاعفة الإنتاج، والاجتهاد في مضاعفة التقدم العلمى، ومواجهة التحديات التى تواجه أمتنا، والعمل على إعداد العدة وبذل أقصى ما فى الوسع كما قال الله تعالى: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِن قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهَبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَءَاخِرِينَ مِنْ

دُونِهِمْ لَا نَعْلَمُونَهُمْ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ  
إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ﴿٦٠﴾ (آية ٦٠ سورة الأنفال)

**سادساً:** علينا مع الأخذ في الأسباب، ومع الحفاظ على صيانة الجبهة  
الداخلية وحمايتها، واستمرار مسيرة العمل والإنتاج والحفاظ على الوطن  
علينا أن ننقى قلوبنا من الأحقاد والأضغان وأن نواصل ونستزيد من  
تقوى الله، حتى إذا دعونا الله استجاب لنا ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾  
(آية ٢٧ سورة المائدة) وعلينا أن ندعو بما كان يدعو به الرسول ﷺ في  
وقت الشدة والكره حيث كان عليه الصلاة والسلام يدعو الله تعالى عند  
الكره فيقول: «لا إله إلا الله العظيم الحليم. لا إله إلا الله رب العرش  
العظيم لا إله إلا الله رب السموات ورب الأرض رب العرش الكريم».

ونذكر بالإكبار ما قام به أبطال قواتنا المسلحة من جهود تذكر  
فتشكر في محاولة تجنيب مصر والأمة العربية والإسلامية ويلات التنازع  
ودعوته، إلى عدم ضرب وحدة أمتنا، وأن الفرقة تمتد آثارها المدمرة إلى  
بلاد الجوار وإلى مناطق أخرى في العالم، ودعوته الآن إلى إيقاف العنف  
ونعتز ببناء الدعوة إلى وحدة صفوفنا إلى الحفاظ على ما أنجزه شباب  
مصر والشعب من جهوده المتواصلة في الدفاع عن مصر وعن شعب  
مصر ومكتسبات الثورة.

وندعو الله تعالى أن يكتب لأمتنا النصر والتأييد وأن يوحد صفوفنا،  
وعلى الشباب بصفة خاصة أن يتحلوا بوحدة الصف وجمع الكلمة والإقبال  
على دروسهم والبعد عن العناصر المغرصة، والشائعات المسمومة.

**سابعاً:** العمل على ترسيخ قواعد الوحدة الوطنية، والحفاظ على  
دور العبادة، فلا يتعرض أحد بسوء إلى الكنائس ولا إلى المساجد، فقد

قال الله تعالى: ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفُتِنَتِ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ وَاصْلَوْا لِلَّهِ وَاصْلُوا لِلَّهِ يَذْكُرُ فِيهَا أَسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا﴾ (آية ٤٠ سورة الحج).

وقد وضح لنا الإسلام المحافظة على المودة والعدل مع إخواننا من غير المسلمين الذين يعيشون معنا فوق أرض واحدة وتحت سماء واحدة، واختلطت دماؤنا معاً في الحروب دفاعاً عن الوطن والأرض والعرض.

قال الله تعالى: ﴿لَا يَنْهَكُوكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ (آية ٨ سورة الممتحنة)

ولطالما وصى رسول الله ﷺ بالمعاهدين وهم أهل العهد والذمة والأمان ونهى عن ظلمهم أو إنقاصهم حقوقهم حيث قال رسول الله ﷺ «ألا من ظلم معاهداً أو انتقصه أو كلفه فوق طاقته أو أخذ منه شيئاً بغير طيب نفس فأنا حجيجه يوم القيامة» رواه أبو داود والبيهقي.

ولقد وعت ذاكرة التاريخ موقفاً مشرفاً من النجاشي الذي وجّه الرسول ﷺ بعض الصحابة إلى الهجرة إليه وإلى الحبشة وبين لهم أن فيها ملكاً لا يظلم عنده أحد، وكان المهاجرون من المسلمين آمنين في الحبشة، حتى عندما أرسل المشركون إلى النجاشي طالبين ردّهم رفض وظل محافظاً على المسلمين.

ولقد قابل الرسول ﷺ هذا الجميل بمثله عندما جاء نصارى نجران ودخلوا مسجده وحن الموعد لأداء عباداتهم وحاول بعض المسلمين منعهم فنهاهم رسول الله ﷺ وبين لأصحابه أنهم كانوا كراماً مع المسلمين الذين هاجروا إلى الحبشة وقام بنفسه على إكرامهم موضعاً أنهم كانوا يخدمون المسلمين ويريد أن يؤدي لهم ما يستحقونه من إكرام.

وقد ظل المسلمون يذكرون هذا التوجيه النبوي عبر العصور في الحفاظ على الوحدة الوطنية والمحافظه على حقوق أهل الكتاب، حتى إن الإمام شيخ الإسلام ابن تيمية عندما طالب قائد التتار بردّ الأسرى، فردّ أسرى المسلمين، ولم يرد أسرى أهل الكتاب، لم يقبل ابن تيمية وقال لن أخرج من هنا حتى يفك جميع الأسارى من اليهود والنصارى، فاستجاب له قائد التتار وأطلق جميع الأسرى من المسلمين والنصارى فعلىنا أن نحافظ على الوحدة الوطنية وأن نظل نسيجًا واحدًا، ليظل الأمن والسكينة والاستقرار والطمأنينة.



## حاجة المجتمع إلى التضافر على الحق

إن مراحل التحول التاريخى فى حياة الأمم والشعوب تحتاج إلى تضافر المجتمعات ووحدة صفها، وجمع كلمتها، وإرساء القيم المثلى، والمبادئ العالية، والأخلاق الفاضلة، حتى يكتمل بناء الأمة على نحو قوي.

فما أوجنا إلى التحلى بمكارم الأخلاق، وأن يتحاب الناس فيما بينهم، وألا يعادى بعضهم بعضا، ولا يحسد بعضهم الآخر كما أرشد رسول الله ﷺ بتنقية المجتمع من الرذائل قبل التحلى بالفضائل، فالتخلى مقدمة أولا لتصفية المجتمع وتنقيته، ثم يكون بعد ذلك التحلى بالفضائل.

ولقد كان الهدى النبوى مركزا على التّخلى عن الرذائل قبل التّحلى بالفضائل ففى الحديث يقول ﷺ: «لا تحسّسوا ولا تجسسوا ولا تحاسدوا ولا تباغضوا ولا تدابروا وكونوا عباد الله إخوانا».

فنهى أولا عن الرذائل ثم أمر آخرا بالتحلى بالفضائل فقال: « وكونوا عباد الله إخوانا».

وفى بعض الروايات: « المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يسلمه ولا يخذله ولا يحقره بحسب امرئ من الشر أن يحقر أخاه المسلم كل المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه».

إن التربية الإسلامية التي وجهتنا إليها أحاديث الرسول ﷺ رَاعَتْ في توجيهها التَّخَلَّى عن الرذائل أولاً، وذلك لتنقية المجتمع من بعض التصرفات التي قد يقع فيها كثير من الناس دون أن يشعروا.

ثم كان التوجيه إلى التحلى بالفضائل وبالقيم المثلى والأخلاق الفاضلة. حتى لا ننسى ونحن نبني مجتمعنا الجديد أن نترك قيمنا الإسلامية الأصلية، وألا ينسى بعضنا بعضاً، بل واجبنا أن نتحاب وأن نتوادَ وأن نتألف وأن نتعاطف، كما قال رسول الله ﷺ: «مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الأعضاء بالسهر والحمى» (رواه البخارى) إن الحديث النبوى الشريف شبه الناس في تعارفهم وتآلفهم بالجسد الواحد حتى يظل الناس على قلب رجل واحد، فيشعر كل منهم بشعور أخيه، فلا يظلمه ولا يسئ إليه ولا يخذله ولا يقع في غيبته أو نميمته بل يكون محباً لإخوانه ويكون معهم قوة له ولهم كما قال ﷺ: «المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً» (رواه البخارى). إن المرحلة التي يمر بها مجتمعنا تحتاج منا أن نتحاب، وأن نتواد وأن يحب كل إنسان لأخيه ما يحبه لنفسه.

ولطالما ربط الرسول ﷺ رابطة الإيمان بالأخوة وجعل كمال الإيمان لا يتم إلا إذا أحب الإنسان لأخيه ما يحبه لنفسه، عن أنس بن مالك رضى الله عنه، عن النبى ﷺ قال: ( لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه) رواه البخارى ومسلم.

ولنكن على يقين، في الوقت الذى يعبرُ مجتمعنا هذه المرحلة أننا في أمس الحاجة إلى تأكيد الصلة بالله سبحانه وتعالى طاعة له وتوكلا على الله، فلا نسأل إلا الله ولا نتوكل إلا على الله، وإلى جانب هذا نأخذ في

الأسباب، ونتابع الإخلاص في العمل ولنكن على يقين أن الذين يتوكلون على الله ويأخذون في الأسباب يرعاهم الله جل وعلا ولا يمسسهم سوء. عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: كنت خلف النبي ﷺ يوما فقال: «يا غلام إني أعلمك كلمات: احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تجاهك، إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله، واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك، وإن اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك، رفعت الأقلام وجفت الصحف» رواه الترمذي.

وفي رواية أخرى: «احفظ الله تجده أمامك، تعرف إلى الله في الرخاء يعرفك في الشدة، واعلم أن ما أخطأك لم يكن ليصيبك وما أصابك لم يكن ليخطئك، واعلم أن النصر مع الصبر، وأن الفرج مع الكرب وأن مع العسر يسرا» رواه أحمد الطبراني.

إن واجبنا في مرحلة التحول التاريخي التي تمر بها أمتنا أن نحافظ على العلاقات الإنسانية والاجتماعية، وأن ننأى بأنفسنا عن كل ما يسيء العلاقات، عن عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: «المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده، والمهاجر من هجر ما نهى الله عنه» رواه البخاري ومسلم.

وأكد الإسلام على حرمة النفس والمال والعرض، وقد أعلن رسول الله ﷺ ذلك في حجة الوداع حيث قال: «إن دماءكم وأموالكم وأعراضكم عليكم حرام كحرمة يومكم هذا في شهركم هذا في بلدكم هذا».

وتأكيدا للعلاقات الإنسانية بين الناس وضع الرسول ﷺ حق المسلم على أخيه المسلم، عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال:

(حق المسلم على المسلم خمس: رد السلام، وعيادة المريض، واتباع الجنائز، وإجابة الدعوة وتشميت العاطس) رواه البخاري ومسلم.  
وهي حقوق لا تلزم الإنسان لمجرد رابطة من روابط الرحم بل هي حقوق تجب عليه لأنه مسلم، ولأنه آمن بالله ربا وبالإسلام ديناً وبسيدنا محمد ﷺ نبياً ورسولاً.

وفي حديث آخر عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (حق المسلم ست إذا لقيته فسلم عليه، وإذا دعاك فأجبه، وإذا استنصحك فانصح له، وإذا عطس فحمد الله فشمته وإذا مرض فعده، وإذا مات فاتبعه) رواه مسلم.

وواجب المجتمع أن يقوم بالتناصح والتواصي بالحق وبالصبر وقد وضح رسول الله ﷺ ما يرضاه الله تعالى لعباده وما يكرهه لهم حيث قال: «إن الله تعالى يرضى لكم ثلاثاً ويكره لكم ثلاثاً، فيرضى لكم أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئاً وأن تعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا وأن تناصحوا من ولاه الله أمركم، ويكره لكم قيل وقال، وكثرة السؤال وإضاعة المال» رواه مسلم.

إن واجب مجتمعنا في هذه الآونة التي نمر بها، أن نحافظ على البناء الأخلاقي، وأن نحمل أمتنا من غوائل الفتن، ما ظهر منها وما بطن، وأن نعمل على انتشار الفضيلة وتنقية المجتمع من كل شر وباطل، وأن نخلص جميعاً في عملنا، حتى تتم سعادة المجتمع وهناءته.

وأن نتعد عن الظلم فلا يظلم أحدٌ أحدًا، ولا يستعلى أحد على أحد كما قال رسول الله ﷺ: «اتقوا الظلم فإن الظلم ظلمات يوم القيامة، واتقوا الشح فإن الشح أهلك من كان قبلكم حملهم على أن سفكوا دماءهم واستحلوا محارمهم».

## أسس الوحدة الوطنية

تقوم الوحدة الوطنية في الإسلام على أسس قوية أرساها القرآن الكريم، والرسول العظيم، عليه أفضل الصلاة وأتم السلام.

وأول أسس الوحدة الوطنية: هو احترام الأديان والكتب السماوية، والشرائع الإلهية، وجميع رسل الله والإيمان بهم دون التفريق بين أحد منهم كما قال الله تعالى: ﴿ءَاَمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ ءَاَمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَيْكِيهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نَفَرَقَ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ﴾ سورة البقرة (٢٨٥)

ومن ذلك أيضاً مشروعية حل طعام أهل الكتاب، وحل طعامنا لهم ﴿وَطَعَامَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَلٌّ لَكُمْ وَطَعَامُكُمْ حَلٌّ لَهُمْ﴾ سورة المائدة (٥).

ومن تلك الأسس سماحة التعامل وقد استقبل رسول الله ﷺ وفد نصارى نجران بمسجده النبوي وسمح لهم بالدخول ولم يمنعهم من ممارسة شعائرتهم.

كما سمح الإسلام للمسلمين بدخول كنائسهم، وزيارة سيدنا عمر ابن الخطاب رضی الله عنه أكبر شاهد على ذلك وكاد يصلی في الكنيسة عندما حضرت الصلاة، لولا أنه خاف أن يقول المسلمون بعد ذلك: هنا صلى عمر، ويأخذونها منهم، فصلی على باب الكنيسة.

وشواهد العلاقات الوطيدة بين المسلمين وغير المسلمين من أهل الكتاب أكثر من أن تحصر، وقد بلغت تلك العلاقات قمتهما عندما أعلن رسول الله ﷺ خصومته لمن يؤذى أحدا من المعاهدين فيقول: ألا من ظلم معاهداً أو انتقصه أو كلفه فوق طاقته، أو أخذ منه شيئا بغير طيب نفس فأنا حجيجه يوم القيامة. رواه أبو داود.

ووضح القرآن الكريم جوهر هذه العلاقة حين قال الله سبحانه ﴿لَا يَنْهَكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقِنُوا كُفْرَهُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكم مِّن دِينِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ سورة الممتحنة (٨).

وتبلغ وصايا القرآن الكريم بغير المسلمين صبغتها النهائية حين يقول رب العزة سبحانه عن المشركين: ﴿وَإِن أَحَدٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلِمَ اللَّهِ ثُمَّ اتَّبِعْهُ مَأْمَنَهُ﴾ سورة التوبة (٦)

وكفل الإسلام الحرية الدينية لغير المسلمين الذين يعيشون في المجتمع الإسلامي، فلم يكره أحدا على الدخول في الإسلام قال الله تعالى: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ﴾ سورة البقرة (٢٥٦).

كما صان الإسلام حرمة غير المسلمين، وجعل من حقهم أن يبدوا رأيهم وأن يناقشوا، وأمر المسلمين ألا يجادلوهم إلا بالتي هي أحسن، قال الله سبحانه: ﴿وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَيْنَا وَإِلَيْهِكُمْ وَنَحْنُ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾ سورة العنكبوت (٤٦).

ومن أسس الوحدة الوطنية: التواصل بين جميع الرسل والأنبياء واجتماعهم في مكان واحد وهو المسجد الأقصى في ليلة الإسراء والمعراج

وقيامهم - مجتمعين - بصلاة واحدة، وجاء جبريل عليه السلام، وأخذ بيد الحبيب المصطفى ﷺ وقدمه للقبلة.. ليصلى بهم إماما.

وكان هذا اللقاء، وهذه الصلاة التي أداها الرسل جميعا إعلانا لوحدة الدين السماوي وعدم التفرقة بين نبي ونبي أو شريعة وشريعة، وكان الإسلام مؤكدا على الوحدة الوطنية عندما أعلن أن الواحد منا لا يكون كامل الإيمان إلا إذا آمن بجميع النبيين والرسل، حتى لا يكون هناك أدنى تعصب لشريعة أو لنبي من الأنبياء.

وكان أول من طبق هذه الوحدة الوطنية سيدنا المصطفى ﷺ، فعندما هاجر من مكة إلى المدينة كان أول عمل قام به بناء المسجد ثم المواخاة بين المهاجرين والأنصار، ثم قام بتوحيد الصف بين المسلمين وغيرهم فأبرم أول وثيقة لحقوق الإنسان وللعلاقات الإنسانية والدولية بين المسلمين وغيرهم.

ولقد وعى التاريخ ما أقامه الإسلام من مبادئ إنسانية وما أكد عليه من حقوق الإنسان وحقوق المسلمين وغير المسلمين، وأعلن العدالة والحرية والسماحة والوفاء.

وما إن دخل الإسلام مصر وأشرق الفتح الإسلامى إلا كان الأقباط أول المرحبين وأول الفرحين، لأنه أعطى كل ذى حق حقه، وأنصف المظلوم وردّ عنهم كيد الرومان، والإسلام حين جاء بهذه المبادئ العادلة أراد من المجتمعات البشرية ألا تشعل فتنا دينية، ولا حربا أهلية في أوطانها، وإنما أراد أن يعيش الناس في سلام وأمان واستقرار وهدوء.

وإذا ما حاول دعاة الفرقة والفتنة أن يبيثوا سمومهم في الصفوف الإسلامية، فعلى الجميع أن ينتبهوا لذلك، وأن يطبقوا تعاليم دينهم

الحنيف فلا يسمحون لظهور مثل هذه الفتن من المسلمين أو من غير المسلمين فنحن جميعا ركاب سفينة واحدة، لو قام أحد ركاب السفينة فأحدث فيها خرقا غرقت كلها ولن يغرق الذى باشر الخرق بل سيغرق كل ركاب السفينة بلا استثناء.

وإذا كانت تعاليم الإسلام تحث على حسن علاقة المسلم بغير المسلم، وتدعو إلى المعاملة الحسنة والعدالة والتعاون معه، فإن من الواجب أن تقابل هذه المعاملة بمثلا من غير المسلمين مع المسلمين خاصة في البلاد التى بها أقليات إسلامية، فلا يصح أن يمنعوا من ممارسة شعائرهم، ولا أن يضيق عليهم.

إننا ندعو المسلمين والمسيحيين أن يكونوا على قلب رجل واحد في هذه المرحلة التى يعبر فيها مجتمعنا هذا التحول التاريخى من حياته. وإن الدفاع عن الوحدة الوطنية واجب دينى وواجب وطنى، وفريضة حتمية كما جاء في التوجيهات الربانية والوصايا النبوية. كما أن واجب الدفاع عن دور العبادة وحماتها فريضة على كل إنسان، حماية لأمن الوطن واستقراره.

قال الله تعالى: ﴿وَلَوْلَا دَفَعُ اللَّهُ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَفُتِنَتِ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدٌ يُذَكَّرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا﴾  
سورة الحج (٤٠).



## شواهد تاريخية لترسيخ دعائم الوحدة الوطنية

إن اختلاف الناس في عقائدهم، وفي أجناسهم وألوانهم بإرادة الله رب العالمين.

وقد وضح القرآن الكريم ما قضته الإرادة الإلهية منذ الأزل من اختلاف الناس في عقائدهم، وذلك لحكمة يعلمها الحكيم الخبير، قال الله سبحانه وتعالى:

﴿ وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً ۗ وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ﴾ (١١٨)

هود: ١١٨ ولا يكره الإسلام أحدا على الدخول فيه؛ فهو لم ينتشر بسيف ولا عنف ولا إكراه، قال الله تعالى: ﴿ لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ ۗ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ ۗ ﴾ (البقرة: ٢٥٦).

فلو أراد الله توحيد الأديان لوحدتها ولو شاء أن يجعل الناس أمة واحدة لجعلهم.

الدين للديان جل جلاله لو شاء ربك وحد الأقواما

ولقد شهد تاريخ الإسلام الحرص على ترسيخ دعائم الوحدة الوطنية من فجر الإسلام فمنذ الهجرة النبوية كان أول عمل قام به رسول الله ﷺ هو بناء المسجد النبوي لتوثيق الصلة بالله، وكان العمل

الثاني هو المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار، وكان العمل الثالث وضع الوثيقة التي أبرمها بين المسلمين وغيرهم وهي صحيفة المدينة التي تعتبر أول وثيقة عرفتها البشرية لحقوق الإنسان، فعاهد غير المسلمين أن يكونوا مع المسلمين يدا واحدة في مواجهة أعدائهم، فأول من أقام نسيج الوحدة الوطنية هو رسول الله ﷺ حين أعلن دستور المدينة، وقرر حقوق غير المسلمين كحقوق المسلمين في المواطنة.

وطبق المسلمون دعائم الوحدة الوطنية بعد ذلك، فقرر الفاروق عمر رضی الله عنه أن لأهل الكتاب كفالة في بيت مال المسلمين، فقد روى أنه مرّ بباب جماعة، فوجد سائلا يسأل، وهو شيخ ضير كبير فسأله قائلا: من أي أهل الكتاب أنت؟ قال: يهودي، فسأله: ما ألجأك إلى ما أرى؟ قال: أسأل الجزية والحاجة والسنّ، فأخذ عمر رضی الله عنه بيده إلى منزله وأعطاه، ثم أرسل إلى خازن بيت المال فقال له: انظر هذا وأضربه فوالله ما أنصفناه أن أكلنا شبيبته ثم نخذله عند الهرم.

إنها صور مشرقة في تاريخ الإسلام توضح إلى أي مدى كانت الوحدة الوطنية أقوى ما يكون، وقد طبق المسلمون تعاليم الإسلام في الحفاظ على حقوق غير المسلمين لدرجة أن شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تمسك بإطلاق الأسرى الذين كانوا في أيدي التتار من أهل الذمة مع المسلمين، فعندما أطلق قائد التتار أسرى المسلمين فقط دون أسرى أهل الكتاب لم يقبل شيخ الإسلام ابن تيمية، وقال لقائد التتار: لا نرضى إلا بإطلاق جميع الأسارى من اليهود والنصارى، فهم أهل ذمتنا ولا ندع أسيرا لا من أهل الذمة ولا من أهل الملّة، فحقق له قائد التتار ما أراد، وأطلق جميع الأسرى حين رآه مُصرا على ذلك.

ونرى صورة أخرى من صور التسامح والحفاظ على الوحدة الوطنية عند فتح مصر حيث علم عمرو بن العاص رضى الله عنه بخروج بنيامين هربا من فسق الرومان وظلمهم أرسل من يُنادى على بنيامين ويدعوه إلى المجدىء آمنا معززًا مكرمًا؛ من أجل أن يُدير شئون أهل ملته وجاء وتولى أمور إخوانه في أمن وسلام.

وهكذا ظل المسلمون والأقباط يعيشون في مناخ أخوى آمن لا عنصرية ولا طائفية بل قامت بينهم الوحدة الوطنية راسخة القواعد، وعاش المسلمون والأقباط في أمن وسلام.

وظل المسلمون مع غير المسلمين لا يُعادى أتباع الإسلام أتباع أى دين آخر، بل إن الإسلام أمر بالإيمان بجميع الأنبياء دون تفریق بين أحد منهم.

قال الله تعالى: ﴿ قُولُوا ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا مِنْ رَبِّهِمْ لَا نَفَرُّ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴾ البقرة: ١٣٦

ونهى الإسلام عن مجادلة أهل الكتاب إلا بالتي هى أحسن قال الله تعالى: ﴿ وَلَا تَجِدُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا يَأْتِيهِمْ مِنْ رَبِّهِمْ قَوْلًا آتَمًّا بِالَّذِي أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأَنْزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَهُنَا وَإِلَهُكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴾ العنكبوت: ٤٦.

فواجبنا جميعا أن نحمل الوحدة الوطنية من أى محاولة سلبية تحاول هز بناها، أو إشعال الفتنة الطائفية بين أى من عنصري الأمة. وليعلم كل متعصب يحاول إثارة الفتنة الطائفية بأنه لا يخدم قومه بل بالعكس إنه يخدم أعداء الأمة الذين يتربصون بها الدوائر، والذين

يسرهم كل السرور أن يروا الأمة في فرقة واختلاف لأن مبدأهم القديم هو: «فرق تسد» وإلى جانب هذا فعلى الجميع أن يعلموا بأننا ركاب سفينة واحدة، وسكان وطن واحد وأننا جميعا كالجسد الواحد إذا مسّ عضوا من أعضائه السوء سرى التعب إلى سائر الأعضاء وركاب السفينة الواحدة إذا حاول أحدهم خرقها فلن يهلك - فقط - من مارس الخرق بل يغرق كل ركاب السفينة.

كما قال الرسول ﷺ: «مثل القائم على حدود الله والواقع فيها كمثل قوم استهموا على سفينة فأصاب بعضهم أعلاها وبعضهم أسفلها، فكان الذين في أسفلها إذا استقوا الماء مَرُّوا على من فوقهم، فقالوا: لو أن خرقنا في نصيبنا خرقا ولم نُؤذ من فوقنا؟ فلو أنهم تركوهم وما أرادوا هلكوا جميعا، ولو أنهم أخذوا على أيديهم نَجَوْا ونَجَوْا جميعا».



## واجب الخطاب الديني وأثره في واقعنا المعاصر

إن واقعنا المعاصر بما يتراءى فيه من متغيرات مجتمعية، وأحداث ووقائع، وهموم وطنية ويشهد هذا الواقع تحولا تاريخيا، ومنعطفًا بالغ الأهمية.. يستوجب كل ذلك على الخطاب الديني، أن يتعامل مع الأجواء المحيطة به بما يؤكد على الأمان والاستقرار، وعلى العمل والإنتاج، ونشر الحق والعدل، والمساواة والحرية والعطاء الحضاري في تجرد من الأثرة والأنانية حتى يكون الخطاب الديني مطابقا لمقتضى الحال.

وأرى أن هناك خمسة محاور يجب أن يركز عليها الخطاب الديني في هذه المرحلة:

● **المحور الأول:** هو توثيق الصلة بالله تعالى وذلك بالدعوة إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة مع التركيز على التوبة والإنابة لله تعالى، والتضرع إلى الله ﴿فَلَوْلَا إِذْ جَاءَهُمْ بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا﴾ الأنعام: ٤٣، وأن نتقرب إلى الله تعالى في إخلاص أكيد حتى يهتدى الجميع إلى سواء السبيل؛ لأنه لم ينزل بلاء إلا بذنب ولا يكشف إلا بتوبة، فإذا أردنا الحق والخير وسعادة الأمة فعلينا بتوثيق الصلة بالله سبحانه.

وإذا نظرنا إلى رسولنا ﷺ عندما أراد تأسيس الدولة كان الأساس الأول هو بناء المسجد ليكون همزة الصلة بين الخلق وخالقهم، لأن الصلة بالله فيها الضمان للأمن والنجاة وطريق الطمأنينة والرضاء.

﴿ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا ۖ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ ۗ إِنَّ اللَّهَ بَلِّغُ أَمْرِهِ ۖ فَجَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا ۝٣﴾  
الطلاق: ٢ - ٣.

فعلى الدعاة والعلماء والمؤسسات الدينية أن تُعنى في الخطاب الديني بنشر روح العبادة، وتأكيد الصلة بالله تعالى، وغرس الضمير الديني؛ حتى يراقب كل إنسان ربه في عمله الذي يقوم به، وأن يعبد ربه كأنه يراه، فإن لم يكن يراه فإن الله يراه كما قال رسول الله ﷺ: (الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك).

● **المحور الثاني:** أن يوثق الناس صلتهم ببعضهم فيتحابون ويتضامنون، بحيث يحب بعضهم بعضاً، ويوقن كل إنسان أنه أخ لأخيه الإنسان فلا يحمل حقداً ولا كراهية ولا ضغنا على أخيه.

ولقد كان هذا العنصر وهو محبة الناس وتضامنهم هو العنصر الثاني في تأسيس الدولة بعد الهجرة النبوية الشريفة حيث كان الأساس الأول ممثلاً في توثيق الصلة بالله ببناء المسجد والثاني في المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار وكما قال رسول الله ﷺ.

(المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يسلمه ولا يخذله ولا يحقره بحسب امرئ من الشر أن يحقر أخاه المسلم كل المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه).

المحور الثالث: وهو ما يتعلق بالمسئولين: فواجبهم أن يحققوا تعاليم الإسلام، وأن يطبقوا العدالة وأن يوقنوا أنهم حين يعدلون يكونون أول السبعة الذين يظلمهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله.

فالعديل مطلوب في الحكم كما قال الله تعالى: ﴿وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ﴾ ٥٨. النساء: ٥٨  
والعديل في القول كما قال الله تعالى ﴿وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا﴾ ١٥٢. الأنعام: ١٥٢.

فواجب الخطاب الديني أن يكتف الدعوة لتوجيه المسئولين إلى إحقاق الحق، وإقامة العدل بين الناس.

المحور الرابع: هو ما يتعلق بوجود العمل ومضاعفة الإنتاج.. فعلى الخطاب الديني أن يكتف الدعوة إلى العمل والإنتاج والتنمية، فلا نريد للحياة أن تتوقف، ولا يصح أن تتجمد مسيرة الحياة والإنتاج. وفي الوقت الذي ننادى فيه بالعمل والإنتاج فإننا ننادى أيضا كل مسؤل أن ينظر في مطالب الناس، وفي حقوق أصحاب الوقفات الاحتجاجية، ولكي تنطلق مسيرة العمل والإنتاج فمن الواجب ألا يتدخل أصحاب الأهواء في محاولة تشويه صورة بعض الشخصيات بسبب ما بين بعض الناس والبعض الآخر من خصومات كثيرا ما تقع بين الناس في مجالات كثيرة.

وقد تدفع خصومات ما أو منافسات بعض الناس للوقوع في أعراض غيرهم وتشويه صورتهم، ونحن نستدعى الخطاب الديني ليعالج مثل هذه المشكلات، وليعلم الجميع أن إشاعة التشهير والتشويه والمنكر من أبشع الجرائم قال الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ

فِي الَّذِينَ ءَامَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿١٩﴾ النور: ١٩، والذين يحاولون اغتيال الناس أو البهتان عليهم أو تصفية الحسابات معهم في هذه المرحلة لشغل الناس والمسئولين ويحاولون ركوب الموجة بالاتهامات، هؤلاء بعيدون عن روح الإسلام والحق فقد حرم الإسلام الغيبة، عن أبي هريرة رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: (أتدرون ما الغيبة؟ قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: ذكرك أخاك بما يكره قيل: أ رأيت إن كان في أخى ما أقول؟ قال: إن كان فيه ما تقول فقد اغتبته، وإن لم يكن فيه ما تقول فقد بهته). رواه مسلم.

ولكى تَمْضَى سفينة المجتمع بالعمل والإنتاج لابد من التحاب والتواد وترك الشحناء والبغضاء والتحرش بالناس ومحاولة إصاق العيوب بالناس فقد قال رسول الله ﷺ: (من ذكر امرءا بشيء ليس فيه ليعيبه به حبسه الله في نار جهنم حتى يأتي بنفاد ما قال فيه) رواه الطبراني، وفي رواية أخرى: (أما رجل أشاع على رجل مسلم كلمة وهو منها برىء يشينه بها في الدنيا كان حقا على الله أن يذيه يوم القيامة في النار حتى يأتي بنفاد ما قال) رواه الطبراني.

وإن مما لا ريب فيه أن مناهضة الشر والفساد أمر واجب ولكن علينا في الوقت نفسه ألا يقع الناس في فساد أشد يجرح بعضهم بعضا، علينا أن نحصر في هذه المرحلة على وحدة الصف وجمع الكلمة لبناء مجتمعنا على المحبة والمودة، «المؤمن للمؤمن كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضا». **المحور الخامس:** تنقية الأجواء، ونشر القيم الدينية والمثل الخلقية التي جاء بها القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة على صاحبها أفضل الصلاة والسلام.

وواجب الخطاب الدينى فى هذه المرحلة الاهتمام بتنقية الأجواء، ليتم الوفاق والوثام بين الجميع، وعلى من يقوم بالخطاب الدينى أن ينأى بنفسه عن الدخول فى تعصب بل عليه أن يتسم بمنهج الإسلام السمح، فيدعو بالحكمة والموعظة الحسنة حتى تسود ثقافة التسامح، ونكون جميعا على قلب رجل واحد.



## حب الوطن وحمايته

للوطن في أعناق أبنائه أمانة يجب عليهم أن يحافظوا عليها فإن حب الوطن من الإيمان، وإن واجب كل إنسان أن يحرص على حماية الأوطان، فلا يمارى امرؤ ومعه عقله أن الوطن بيته، فيجب عليه أن يحافظ على أمنه وسلامته، وأن يدافع عنه ما استطاع إلى ذلك سبيلا وقد أوجب الإسلام، الدفاع عن الأوطان، وشرع الجهاد في سبيل الله دفاعا عن الدين والوطن والأرض والعرض ومن قتل في سبيل الدفاع عن وطنه كان شهيدا في سبيل الله ولا تقتصر حماية الأوطان والدفاع عنها على مواجهة العدوان ومقاومة الدخيل فحسب، بل إن من الواجب في حماية الأوطان مناهضة كل فكر مغشوش، أو إشاعة مغرضة أو محاولة استقطاب البعض لمصلحة بعض الأهواء المشبوهة.

كما تشمل حماية الأوطان، المحافظة على أسراره الداخلية، وعدم التعامل مع أعداء الوطن أو من يريدون به السوء. أو الذين ينفثون سمومهم في أجواء المجتمعات بغيا منهم وعدوانا. ومن الأوطان ما هو خاص، مثل وطن الإنسان الذي يعيش فيه. وبلده الذي نشأ على ظهره، ودولته التي يحيا فيها.

ومن الأوطان أيضا: ما هو عام مثل العروبة والإسلام فالعالم العربي، وطن كل إنسان عربي، والعالم الإسلامي وطن كل إنسان مسلم.

ومن الأوطان الوطن الأعم وهو الإنسانية جمعاء عربا كانوا أو غير عرب، مسلمين كانوا أو غير مسلمين وفي كل نوع من أنواع الأوطان جاءت توجيهات الإسلام واضحة جلية في حمايتها والدفاع عنها في كل وقت وحين، وفي كل حال من الأحوال، لأن الإسلام دين عالمي ودين الرحمة أرسل رسوله سيدنا محمد ﷺ رحمة للعالمين كما قال رب العزة سبحانه وتعالى: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴾ سورة الأنبياء (١٠٧).

ولنبدا بالحديث عن الوطن الخاص وهو الذي يعيش فيه الإنسان وينتمي إليه، فنرى أن الإسلام أوجب على الإنسان حب وطنه وشرع الجهاد من أجل الدفاع عن العقيدة والوطن ودعا إلى حماية الوطن من أعدائه، وممن يريدونه بسوء، وممن يريدون إحداث القلاقل والفتن وإثارة المخاوف والاضطراب، وأن واجب كل إنسان أن يتصدى للفتن ما ظهر منها وما بطن والذي يحدث القلاقل أو يشجع عليها أو يدعوها ليس بكامل الإسلام، فقد قال رسول الله ﷺ: «المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده» وقال أيضا: «والمؤمن من آمنه الناس على دمائهم وأموالهم وأعراضهم»

ولقد أكد رسول الله ﷺ في حجة الوداع على هذه الحقوق وقال: «إن دماءكم وأموالكم وأعراضكم عليكم حرام كحرمة يومكم هذا في شهركم هذا في بلدكم هذا ألا هل بلغت اللهم فاشهد».

ومن الخيانة العظمى أن يخون مواطن وطنه ويتآمر ضده من أجل منفعة مادية!! ومن فعل مثل ذلك كان بعيدا عن الدين بعيدا

عن الله؛ لأن المؤمن الحقيقي من أمنه الناس على دمائهم وأموالهم وأعراضهم.

وإن الانسان الذي يخون وطنه ويتآمر مع أعدائه إنسان بعيد عن حظيرة الإيمان، إنه يرتكب أبشع أنواع الخيانة، إنه يخون الله الذي أمر بالدفاع والجهاد من أجل الوطن، ويخون رسول الله ﷺ الذي أمر بحماية أمانة الوطن، ويخون أماناته نفسه وأمانات الناس وقد قال رب العزه سبحانه ﷻ: **يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا خَوْفُؤُا لِّلّٰهِ وَٱلرَّسُولِ وَخَوْفُؤُا مِمَّنْ لَّمْ يَنفَعِكُمْ شَيْئًا فِى ٱلْحَيٰوةِ وَٱلْءٰخِرَةِ** سورة الأنفال (٢٧).

واجب أبناء الوطن أن يكونوا عيوناً ساهرة لحماية أمن الوطن وأن يتضامنوا في درء أى خطر يتهدهم وأن يتكافؤوا جميعاً عن بكرة أبيهم وبلا استثناء على ردع كل من تسول له نفسه أن يجترئ على الوطن وأن يسعى بذمتهم أداناهم، وأن يكونوا يداً على من سواهم، بغض النظر عن عقائدهم فيجب أن يتعاونوا جميعاً مسلمين وغير مسلمين.

وأعظم صورة يقتدى بها في ذلك ما فعله رسول الله ﷺ فور هجرته من مكة إلى المدينة حيث بنى المسجد توثيقاً للصلة بالله، وأخى بين المهاجرين والأنصار توثيقاً للصلة بين المسلمين، وأبرم صحيفة المدينة توثيقاً بين المسلمين وغير المسلمين دفاعاً عن الوطن، وحماية له من أى عدو يناوئه أو أى خطر يتهده. وأعطى بهذا نموذجاً من أرقى النماذج في الحفاظ على سلامة الوطن وأمنه واستقراره، ليقتدى به العالم كله بعد ذلك وكانت هذه الصحيفة التى أبرمها فى المدينة بين المسلمين وغير المسلمين أول وثيقة عرفتها البشرية لحقوق الإنسان حيث شرط لغير المسلمين وشرط عليهم ووحد كلمة الجميع على أن يتضامنوا فى الحفاظ على الوطن ودرء أى خطر يوجه من أعدائه إليه.

وأما بالنسبة للوطن العام وهو العروبة والاسلام فذلك لأن كل عربي يجب أن يصون أمن أخيه العربي وأن كل مسلم يجب أن يحمي أخاه المسلم في أي مكان على ظهر المعمورة؛ لأن الجميع إخوة كما قال رسول الله ﷺ: «مثل المؤمنين في توادهم وتعاطفهم وتراحمهم مثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الأعضاء بالسهر والحمى» رواه البخارى.

وتضامن المؤمنين يجعل منهم بناء واحدا يشد بعضه بعضا كما قال الرسول ﷺ: «المؤمن للمؤمن كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضا» رواه البخارى.

وأما بالنسبة للوطن العام الكبير وهو الانسانية جميعا، فيجب على جميع الناس أن يتعارفوا ويتألفوا ويتعاونوا قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا﴾ إن واجب بني آدم في كل الأرض ألا يتصارعوا وألا يتنازعوا بل عليهم أن ينظروا إلى أنفسهم على أنهم أبناء أب واحد وأم واحدة ﴿إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ﴾.

آدم والد الجميع فحقوق وضلال تفاخر الأبناء وإذا كنا نتنادى إلى نشر الأمان والاطمئنان في الأرض؛ انطلاقاً من أننا أبناء أب واحد وأم واحدة على مستوى الإنسانية جمعاء فإن الواجب كذلك ألا تشتعل الحروب ولا تنتشر أسلحة الدمار الشامل وبدل أن تبدد الأموال الطائلة على أسلحة الدمار تنفق على رفع مستوى حياة الناس وإشباع البطون الجائعة ونشر الخير والأمان.

ويذكرنا انتصارنا في العاشر من رمضان السادس من أكتوبر كيف تم هذا النصر، وأنه إنما تم نتيجة الإيمان الصادق، والأخذ في الأسباب

وإعداد العدة التي أمر الله تعالى بها في قوله سبحانه ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ﴾ سورة الأنفال (٦٠). ونتيجة نصرنا لتعاليم الإسلام ﴿إِنْ نَصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾ سورة محمد (٧).

هذا وإن واجبنا في هذه المرحلة التي يمر بها وطننا العزيز أن نسعى جاهدين على الوفاق الوطنى، ونشر ثقافة التسامح فيما بيننا فلا نتقاطع ولا نتدابر بل نكون جميعا بنعمة الله إخوانا متحابين حتى ينهض الوطن قدما إلى الأمام، ونستجيب للتوجيه النبوى: «لاتحسسوا ولا تجسسوا ولا تحاسدوا ولا تباغضوا ولا تدابروا وكونوا عباد الله إخوانا».





## الفهرس

- المقدمة ..... ٣
- احترام الإسلام لسائر الأديان السماوية ..... ٥
- موقف الإسلام من غير المسلمين في الحروب ..... ٧
- موقف الإسلام من غير المسلمين في حال السلم ..... ١٠
- المساواة بين المسلمين وغير المسلمين في القضاء وسائر المعاملات ..... ١٣
- سماحة الإسلام مع غير المسلمين ..... ١٦
- الإسلام دعوة كل الرسل ..... ٢٠
- نماذج لأثر سماحة الإسلام ..... ٢٧
- الواجب على المسلمين في الظروف الراهنة ..... ٣٥
- حاجة المجتمع إلى التضافر على الحق ..... ٤٠
- أسس الوحدة الوطنية ..... ٤٤
- شواهد تاريخية لترسيخ دعائم الوحدة الوطنية ..... ٤٨
- واجب الخطاب الديني وأثره في واقعنا المعاصر ..... ٥٢
- حب الوطن وحمائته ..... ٥٧

رقم الإيداع	٢٠١٣ / ١٥٨٣٩
الترقيم الدولي	ISBN 978-977-02-7859-8

١ / ٢٠١٣ / ٢٢

طبع بمطابع دار المعارف ( ج.م.ع )